

والفكرة الأساسية التي كانت تلح على دوستوفسكي تتمثل في رغبته تجسيد شخصية السيد (المسيح) في شخصية عصرية حديثة، شخصية روسية ذات طيبة حقيقية لها فعلها الجدي والمؤثر في الواقع بعيداً عن إصابتها بأي عطب يقلل من كمالها مثل (البلاهة، أو التهريج، أو استثارة الشفقة.. الخ).

وقد صرح دوستوفسكي عن نوازع فكرته هذه في رسالة طويلة كتبها في منفاه إلى ابنة أخيه في بطرسبرغ، والحق، أن دوستوفسكي كان مأخوذاً بهذه الفكرة نتيجة لتأثره بشخصية السيد المسيح تحديداً، لقناعته بأنه يمثل الطيبة الفعالة الحقيقية، وأنه هو الوحيد الجدير بتمثلها في عصره آنذاك، وكذلك لأنه كان، أي دوستوفسكي متأثراً بقصيدة بوشكين (الذي عشقه عشقاً حقيقياً) التي عنوانها (الفارسي المسكين أو الفقير) والواردة عبر مقاطع متعددة. في صلب رواية (الأبله) وتأثره الكبير الواسع بشخصية (دون كيشوت) لـ سرفانتس الذي عدّه مبروكاً أو مجذوباً مقدساً، كما أن تأثره كان واضحاً ببعض الأعمال الإنكليزية عند (ديكنز) والأعمال الفرنسية عند هيغو كشخصية (جان فالجان). ولهذا صب معاني هذه الفكرة في شخصية (ميشكين) أو الأمير (ليون نيقولا يفتش)، الشخصية الإشكالية التي خرقها عيب (البلاهة) التي وسمت الرواية بسمتها وطابعها من المفتتح حتى المنتهى. وبالإضافة إلى شخصية (ميشكين) المحورية تضم الرواية شخصيات عديدة مهمة، منها ما هو محوري ومنها ما هو ثانوي ناقل، وفي اعتقادي أن هناك أربع شخصيات أساسية تحمل الرواية وتنهض بها في كل فصولها وتفصيلاتها هي: (ميشكين) و(رغوجين) و(أجلابا) و(ناستاسيا فيليبوفنا) وهي شخصيات تمثل الحياة الاجتماعية والسياسية الروسية، كما أنها تمثل المعتقدات والتوجهات الفكرية والدينية، وكل هذا ليس من ناحية ترسبات المجتمع والحديث عنه واقعياً، أي ما يجول فيه من معتقدات وأفكار، وإنما يمضي إلى ناحية أخرى وهي رسم المستقبل الروسي اجتماعياً وفكرياً، لأن الرواية تناقش فكرة أساسية جداً هي علاقة روسيا بالدول الأوروبية ونظرة الروس متحلبة الريق للحضارة الأوروبية (بعدما قدمت إليهم على أنها هي النموذج للاقتداء والمحاكاة) كما تناقش فكرة شديدة الأهمية مؤداها أيهما في رجحان داخل الحياة الروسية (الإيمان) أو (عدم الإيمان)، ثم ما هي مقدمات هذا الإيمان وقواعده إن كان الرجحان له؟ وما هي صفات وتوجهات (عدم الإيمان)، وما السبيل للقناعة به أو جعله أمراً اجتماعياً؟!

الرواية في مجلدين، الأول في (608) صفحات ويشمل على جزءين،